بسم الله الرحمن الرحيم

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [1]

مقدمة

الفن التشكيلي لغة تفاهم بين الأفراد والشعوب ، يمكنها نقل الأفكار والمعلومات والمعاني بغض النظر عن مصادرها أو درجة استعصاءها على الفهم، حتى وإن كانت كثيرة التفاصيل، متقاربة المعاني أو ذات أفكار متضادة أو متنافرة. لغة مفهومة، في أي زمان أو مكان، لا تحتاج لترجمان؛ فهي تعتمد الصورة طريقا لها.

وصدق الإمام محمد عبده(1849 – 1905م) مفتي الديار المصرية حين قال في معرض رده على سؤال عن حكم الإسلام في التصوير: .. إن هذه الرسوم حفظت من أحوال الأشخاص في الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيئات والأحوال البشرية. يصورون الإنسان والحيوان في حالة الفرح والرضا والطمأنينة والتسليم. وهذه المعاني المدرجة في هذه الألفاظ متقاربة، ولا يسهل عليك تميز بعضها من بعض، ولكنك تنظر في رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهرا باهرا[2].

من أجل ذلك كانت الصورة هي أول ما لجأ إليه الإنسان للتعبير عن نفسه وعن أفكاره ، ومن الأدلة على ذلك أيضا أن أول الحروف الهجائية في تاريخ البشر اتخذت شكل صور الأشياء والطيور والحيوانات المحيطة بالإنسان.

ومنذ 2300عام قال أرسطو Aristotle (384 – 322 ق. م.) في كتابه بعنوان " السياسة " : إن التفكير مستحيل بدون صور، وقال أيضا : إن الروح

(1) القرآن الكريم: الآية 76 من سورة يوسف.

(2) ظهرت فتوى الإمام محمد عبده برأيه في أن الشريعة الإسلامية أحلت رسم الإنسان والحيوان وخلافه في معظم الصحف العربية، وهذا الجزء من الفتوى نقلا عن كتاب الفنون الجميلة قديمها وحديثها، تأليف أحمد يوسف – طبعة عام 1922م- صفحة رقم 247.

لا تفكر أبدا بدون صور. وفي مطلع القرن الماضي كتب آبل جانس في تقديمه لكتاب روبرت فولتون بعنوان " السينما آلة وفن" : لقد أقبل عصر الصورة . وقال الناقد الفرنسي رولان بارت : " الصورة لم تعد تساوي ألف كلمة كما جاء في المثل الصيني المأثور بل صارت تساوي مليون كلمة". فما أكثر المواقف التي عجزت فيها الكلمة وكانت الصورة قادرة على الإقناع والإمتاع . وللصورة أهميتها في جميع مناحي الحياة ؛ في مجالات العلم والمعرفة والثقافة والاقتصاد والسياسة والسياحة والزراعة والعمارة والحرب والسلام وفنون الموسيقى والشعر والأدب .. فضلا عن الفنون المرئية / التشكيلية[1].

واللغة - أي لغة – تتكون من حروف ، ومن هذه الحروف تتكون الكلمات ، ومن الكلمات تتكون الجمل المفيدة . وكذلك لغة الفن التشكيلي لها حروف منها تتكون الأشكال ، ومن الأشكال يتكون العمل الفني ، ونطلق على هذه الحروف مفردات أو عناصر أو أبجدية العمل الفني ، سواء أكان هذا العمل تكوينا فنيا أو تصميما ابتكاريا[2]، علما بأن كل عنصر من هذه العناصر هو جزء من الصفات البصرية لأي شيء يرى ، فالعالم البصري بوجه عام وليس العمل الفني على وجه الخصوص يتكون من تلك العناصر ،

---

(1) الفن التشكيلي هو الترجمة العربية لكلمتي بلاستك آرت Plastic Art ، وكلمة "بلاستك Plastic" تعني التشكيل، كما أنها تطلق على مادة البلاستيك ذات القابلية العظيمة للتشكيل. ولعل ذلك هو سبب تسمية الفنون التشكيلية ب" الفنون البلاستيكية " في العراق .

أما اصطلاح فنون تشكيلية فلا وجود له في أوروبا والثقافات المتقدمة وباقي أنحاء العالم ؛ فإذا ذكرت كلمة فن كانت تعني اللوحات والتماثيل والإبداع الجمالي والعمارة، وقد تستخدم كلمة معناها " الفن الجميل". وبعد النصف الأول من القرن العشرين بعد أن تنوع الإبداع الجمالي ودخلت عليه خامات جديدة وأساليب تكنولوجية أصبح يسمى " الفن المرئي"، وكان النشاط الإبداعي والجمالي في مصر يسمى " الفنون الجميلة " وأحياناً " الفنون الشكلية " نسبة إلى كلمة " الشكل "، وذلك حتى عام 1956م الذي ظهر فيه هذا المصطلح مع صدور العدد الأول من جريدة المساء التي خصصت لأول مرة في تاريخ الصحف العربية صفحة كاملة للفنون الجميلة بعنوان " فنون تشكيلية "، وتتضمن الفنون التشكيلية العمارة والنحت وفنون الرسم والتصوير والحفر والزخرفة والديكور ، والفنون التطبيقية بأنواعها ، والفنون الفطرية والبدائية.

فمصطلح الفنون التشكيلية المستخدم حاليا في غالبية دول العالم العربي نقلا عن مصر يُعادل مصطلح الفنون المرئية، وهو ما سنستخدمه في دراستنا هذه عملا بالقول الشهير: خطأ شائع خير من صواب مجهول(نقلا عن كتاب: ينابيع الإبداع ص103 – تحت الطبع- لمؤلف هذا الكتاب).

(2) التكوين الفني مصطلح يطلق على ما تشمله اللوحة أيا كان أسلوب تنفيذها أو الخامات والأدوات المستخدمة أو تحت أي فرع من فروع الفنون التشكيلية تندرج (رسم ، تصوير ، حفر ..)، وهو تعبير مرئي فيه إبداع يعتمد على المؤثرات البصرية والنفسية التي يستمدها المُبدع من ينابيع بيئته الطبيعية والاصطناعية والاجتماعية والثقافية .. ، وكذلك التصميم الابتكاري إلا أن التصميم يكون لأشكال ذات غرض وظيفي لذا يُراعى تحقيق الجانبين الجمالي والنفعي.

ومن هنا برزت أهمية التعرف عليها ، ليس فقط بالنسبة للفنان التشكيلي أو طالب هذا المجال المعرفي بل لكل متأمل لصور ومشاهد البيئة المحيطة.

ولا شك أن في قراءة الصورة بوعي وفهم متعة تزيد بكثير عن تلك المتعة الناتجة عن الاستمتاع بأشكال الجمال فيها دون معرفة أسبابه . كما أن تعلم هذه اللغة يعين على التفكر والتدبر والتأمل في خلق الله .. إضافة لكونها من لوازم عملية الإبداع .

والدراسات والبحوث الأجنبية في مجال تحديد أبجدية العمل الفني وتعلم قراءتها قليلة وبالأحرى فهي بالعربية قليلة جدا أو تكاد تكون منعدمة ؛ إذ لا تجدها في الأغلب الأعم إلا ضمن بحث آخر كجزء مكمل وليس أساسي ، وإن بدأت في التزايد في الثلث الأخير من القرن العشرين لأسباب عديدة ؛ منها : كون الفن التشكيلي ليس مجالا واحداً بل عدة مجالات تتشعب لتدخل كعنصر مهم في كل ما يتعلق بحياة البشر من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وحُلي ووسائل انتقال وطرق وكباري وأجهزة وأدوات ومعدات وآلات .. ، والأفكار الجديدة لإخراج ذلك كله في صور غير مسبوقة لا تنبع من فراغ .

وتكمن أهمية الكتاب في كونه أُعد ليكون مرجعاً متخصصاً يُعين على تعلم لغة الصورة ويساعد على قراءتها سواء أكانت من إنتاج الفنانين التشكيليين في أي عصر أو مصر أو تلك التي تقع عليها أبصارنا في البيئة المحيطة .

ويستفيد من الكتاب الفنان والمعلم والطالب(في كليات الفنون الجميلة والتطبيقية والتربية الفنية والنوعية في الجامعات الحكومية والخاصة والأهلية) والباحثون في هذا المجال ، وهو من وجهة نظر أخرى كتاب موجه لكل قارىء مهما كان مجال عمله أو تخصصه ؛ لأنه أساس الإبداع الذي يظهر في كل فروع النشاط الإنساني ومُعين عليه .
يقول ألكسندر روشكا : إن الشكل الأساسي لعلاقة الإنسان الفعالة

بالعالم الخارجي هو النشاط ، بينما الشكل الأساسي للنشاط الإنساني هو العمل في مجالاته المتعددة : في عمل العامل ، والفنان ، والعالم ، والسياسي

، والمفكر ، والمهندس ، والطبيب ... إلى آخره . وفي هذه المجالات المتنوعة من النشاط يظهر الإبداع ويتجلى"[1].

والكتاب مقسم إلى خمسة فصول يتناول كلٌ منها عنصراً من عناصر العمل الفني (الصورة المرئية) أو مفردة من مفرداته وذلك على النحو التالي :

الفصل الأول بعنوان من مفردات لغة الشكل ـ النقطة :

وفيه تم إيضاح المقصود بالنقطة ، ثم تناولها من خلال بعض طرق التعبير والاتجاهات الفنية ؛ وهي : التنقيطية Divisionism، وفن الخداع البصري optical art ، والتجريدية Abstractionism . ثم تم تناول النقطة في البيئة الطبيعية ثم في البيئة الاصطناعية ، وذلك من خلال وتسع وأربعون صورة منتقاة بدقة وعناية وتأني من بين صور لا حصر لها كنماذج للإبداع في كل ما سبق .

الفصل الثاني بعنوان من مفردات لغة الشكل ـ الخط :

وفيه تم إيضاح المقصود بالخط، والتأثيرات النفسية للخط، ثم تم تناول الخط من خلال فن الكهوف Caves art، ورسوم الأطفال وأثرها في أعمال كبار التشكيليين بها، ثم الخط في ميادينه العالمية الثلاثة العالم الإسلامي والشرق الأقصى والعالم الغربي، ثم في الفن الشعبي، وفي البيئتين الطبيعية والاصطناعية، وذلك من خلال ثمان وثلاثون ومائتا صورة لا حصر لها كنماذج للإبداع في كل ما سبق.

الفصل الثالث بعنوان من مفردات لغة الشكل ـ المساحة :

وفيه تم إيضاح المقصود بالمساحة، ثم تم تناول المساحة من خلال فن السلويتSilhouette، وفن الخداع البصري optical art، والفن التجريدي Abstractionism، وفن المينيمال Minimal Art، ثم في البيئتين الطبيعية والاصطناعية، وذلك من خلال عشر ومائة صورة كنماذج للإبداع في كل ما سبق.

---

(1) ألكسندر روشكا (1989): الإبداع العام والخاص– ترجمة الدكتور غسان عبدالحى أبو فخر– عالم المعرفة رقم (144)، جمادي الأولى 1410هـ / ديسمبر– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت. ص ص7و8.

الفصل الرابع بعنوان من مفردات لغة الشكل ـ اللون :

وفيه تم إيضاح المقصود بكل من اللون، وألوان الطيف، والحياديات ، ثم تم تناول الحياديات في البيئة الطبيعية وأثرها على سائر الألوان فيها بشيء من التفصيل. والمقصود بخواص اللون، ثم تم تناول القيم اللونية في البيئة الطبيعية، وكذا الألوان النقية وغير النقية فيها أيضا بشيء من التفصيل. ثم الإجابة عن الأسئلة التالية : ما الألوان الأساسية ؟. ما المقصود بدائرة الألوان ؟. ما الألوان الثانوية ؟. ما الألوان الثلاثية ؟. ما الألوان المتتامة/المتكاملة/المتضادة ؟. ما الألوان المتوافقة والمتباينة ؟. ما الألوان الشاذة ؟. و بشيء من التفصيل تم تناول الألوان الأساسية والثانوية والألوان الثلاثية والألوان المتتامة/المتكاملة/المتضادة والألوان المتوافقة والمتباينة والألوان الشاذة في البيئة الطبيعية.وذلك من خلال سبع وسبعون ومائة صورة كنماذج للإبداع في كل ما سبق .

الفصل الخامس بعنوان من مفردات لغة الشكل ـ الملمس :

وفيه تم إيضاح المقصود بالملمس، ثم تم تناول الملمس بإيجاز في كل من البيئة الطبيعية ، ورسوم إنسان الكهف، والحضارة المصرية القديمة، والفن القبطي، والفن الإسلامي. ثم تم تتبع ما حدث من تطور في استخدام الملمس كأحد مفردات لغة الشكل في الفنون المرئية بداية من عصر النهضة الأوروبية Renaissance وحتى الآن 2008م، مرورا بالملمس في عصور المانيرزم Manierism والباروك Baroque والروكوكو Rococo والرومانتيكية Romanticism ومدارس باربيزون Barbison والواقعية Realism والتأثيرية (الانطباعية) Impressionism ثم التقسيمية Divisionism أو التفتيتية وما بعد التاثيرية Post-impressionism وعند جماعة نابي Nabi وفي المدرستين التعبيرية Expressionism والوحشية Fauves وعند الفطريين وفي المدرسة التكعيبية Cubism ثم التكعيبية الأورفيةOrphism والفن الصافي Purism وعند جماعة القنطرة أو الجسر Die Brucke وجماعة الفارس الأزرق Blue Horse وفي المدارس المستقبلية Futurism والتجريدية

Abstractionism وباريس وفي الدادية Dadaism وباوهاوس Bauhauses والسريالية Surrealism وفن المينيمال Minimal وفن البوبPop Art والواقعية الفوتوغرافية Photorealism وفي المينيماليزم الفوتوغرافي أو التصوير الضوئي الدقيق photographic minimalism والفن ألمفاهيمي Conceptual Art والفن الفقير Art Povera وفن الأرض Land art ثم أخيرا مدرسة الصور الضوئية الواقعية Photorealism. وذلك من خلال ست وخمسون ومائة صورة كنماذج للإبداع في كل ما سبق.

علما بأن جميع الصور بكل فصول الكتاب ومجموعها أربع وثلاثون وسبعمائة صورة ملتقطة بواسطة أخصائيين مهرة وباستخدام أحدث الأجهزة التكنولوجية بالعالم ومنتقاة بدقة وعناية من بين صور لا حصر لها من البيئة بشقيها الطبيعي والاصطناعي ومن أعمال الفنانين التشكيليين والإبداعيين في كل مصر وعصر.

وفي ختام الكتاب تم ذكر بعض المراجع العربية والأجنبية وبعض المواقع الالكترونية التي استعانت بها الدراسة وذلك بهدف إعانة الباحثين من أجل عمل دراسات مكملة ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ صدق الله العظيم.

الدكتور أحمد رأفت